



# الفتور المؤمل



الشيخ يوسف بن حسن الطحاروي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن من الظواهر المحزنة والآفات المكدرة للعبادة ما يرى من ضعف في الطاعة، وتأخر عن فعل الخير من بعض المسلمين بعد مضي الثلث الأول من هذا الشهر المبارك، ودخول الثلث الثاني أو العشر الوسطى التي نحن فيها، فبعد عمارة الوقت بطاعة الله وذكره والاستغفار، والصلاة على رسول الله ﷺ، والتفكر في آيات الله الكونية والشرعية، والحرص على تلاوة القرآن، وبعد بذل المعروف للناس وتتبع المحتاجين للصدقة وإطعام الطعام، وبعد الاجتهاد في النوافل وصلة الأقارب والأرحام، نجد أن الكسل تسلل إلى النفوس، والضعف دخل في القلوب، والفتور قد ثبت في بعض الناس، ومن وقع في ذلك فعليه أن ينتبه لنفسه ويحاسبها، ويعود إلى طاعة ربه - جل وعلا-، فأيام هذا الشهر معدودات، وما يذهب من ساعاته ولياليه لا يُعوّض بثمن، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ

لِعَدُوِّهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

يقول نبينا ﷺ: « مَا مِنْ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ »<sup>(١)</sup>.

والمعنى أن القمر بينما يكون مضيئاً إذ تأتي عليه سحابة تحجب ضوءه ونوره، ثم ما تلبث أن تزول -أي تلك الظلمة- فيعود للقمر ضوءه كما كان فينير ما حوله، وهكذا قلب المسلم: بينما هو سائر في الطاعة،

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٢٢٠).

مقبل على العبادة إذ يبدرُ منه ترك للطاعة، وتراخٍ عن القيام بها وضعف في أدائها، مما يحجب عنه نوره، فيقع في ظلمة ووحشة وضيق، فإذا جدَّ في الطاعة ولزم العبادة زالت تلك الظلمة ورجع للقلب نوره بسبب الطاعة ومجاهدته على الخير.

إن الفتور عن العبادة ربما لا يسلمُ منه أحد، لكن أن يصل الفتور إلى معاملة شهر رمضان كغيره من الشهور في العبادات، وإلى تضييع للصلوات، وإلى تسويف لفضل الحسنات، وإلى تسامح مع النفس في ارتكاب المنهيات، وإلى إعراض عن تلاوة القرآن، وإهمال للسنن والمستحبات، وإلى سهر وتفريط للأوقات، فإنه غير مقبول أبداً ممن تطلَّعت نفسه إلى رضى رب الأرض والسموات؛ لأن هذا طريق إلى الهلاك، يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً -أي: رغبة وقوة ونشاط-، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ -أي: ضعف-، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» (٢).

إن هذا النقص في الطاعة، والضعف في العبادة بهذه السرعة قد يكون بسبب الغفلة عن منزلة هذا الشهر، وأنه شهر غفران الذنوب، وعلو الدرجات، والعتق من النار.

قد يكون السبب: ارتكاب بعض المخالفات وفعل ما نهى الله عنه وحرَّمه، فإن للمعصية أثراً في حبس

(٢) رواه ابن خزيمة (٢١٠٥).

المراء عن الطاعة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

قد يكون من عوامل هذا الفتور: الاندفاع غير المنضبط في العبادة، وذلك بتكليف النفس ما لا تطيق وتحميلها ما لا تحمل، فعلى المراء الناصح لنفسه أن يفتش في أسباب ضعف نفسه عن طاعة ربه، وعن بواعث الإخلال بحق خالقه في هذا الشهر المبارك ليبتعد عنها ويحذر منها.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

إن المؤمن الناصح لنفسه والصادق في عبودية ربه لا يرضى لنفسه بالضعف والكسل في طاعة الله تعالى والقيام بحقه، وامثال أمره - جلّ وعزّ -.

المؤمن إذا وجد من نفسه نقصاً في عبادة ربه لجأ إلى الله ودعا بما كان يدعو به النبي ﷺ: «وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا» (٣).

لما أسلم حصين علمه النبي ﷺ أن يقول: «قُلِ اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشِدِ أَمْرِي» (٤)، والعزيمة ضد الفتور والكسل.

المؤمن حقاً يقتدي برسول الله ﷺ في هذا الشهر المبارك وفي جوده، فقد كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

بما أن النفس طبيعتها الملل، والشيطان يجتهد في

(٣) رواه الترمذي (٣٥٠٢).

(٤) رواه أحمد (١٩٩٩٢).

صرفها عن العبادة، فإن المؤمن يدفع ذلك بالتنوع في العبادات المشروعة، فينتقل من طاعة إلى أخرى - في حدود ما شرع الله تعالى على وفق هدي رسول الله ﷺ، فينتقل من صلاة فريضة إلى صلاة نافلة وإلى ذكر، ومن صدقة إلى دعاء، ومن تلاوة قرآن إلى قيام بحق الأهل والأولاد، ومن استغفار إلى ترديد للأذان، ومن عمرة إلى جلوس في حلقة علمٍ وهكذا... فإن هذا التنقل من عبادة إلى أخرى يَجِبُ العبادة إلى النفس ويجعلها خفيفة على القائم بها.

من أراد السلامة من الكسل في العبادة فعليه بالتوكل على الله والاعتماد عليه؛ فإن التوكل على الله نِعْمَ العون على طاعة الله، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ولهذا أوصى نبينا ﷺ معاذاً أن يقول بعد كل صلاة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٥)</sup>.

تحقيق الحياء من الله، فإن تمكّن الحياء من القلب نشطت الجوارح في الطاعة وأقبلت على العبادة، واستحيا العبد أن يراه الله ثقيلاً في طاعته، متباطئاً في عبادته، كسولاً في فعل الخير، قال ﷺ لأحد أصحابه: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحْيِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ»<sup>(٦)</sup>.

ما أجمل -أيها الصائمون- أن يكون شعار الواحد منّا «إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل».

أوصى رجل ابنه فقال: يا بني: عليك بتقوى الله، وإن

(٥) رواه أبو داود (١٥٢٢).

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٧٨).

استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً  
منك اليوم فافعل.

نعم، هكذا المؤمن يرتقي في الخير يوماً بعد يوم، فإذا  
جاهد نفسه وكان قوي الرغبة فيما عند الله، ذا عزم  
صديق في طاعة الله وُفِّقَ - بإذن الله -، فإن عون الله  
للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها، فمن صمم على  
إرادة الخير أعانه الله وثبته.

فاللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة،  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

